(٦٥)

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسده طرق الشرك

قال المصنف رحمه الله تعالى: باب (ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد، وسد طرق الشرك).

عن عبد الله بن الشخّير، قال: انطلقتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا: أنت سيّدُنا. فقال: «السيدُ الله تبارك وتعالى»، قلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينّكم الشيطان» [(١)]. رواه أبو داود بسندٍ جيد.

وعن أنس، أنَّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشياطين، أنا محمدٌ عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجل» [(٢)] رواه النسائي بسندٍ جيد).

ش: قوله: (بابُ ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حمى التوحيد وسدِّه طرق الشرك) حمايته ﷺ حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضمحل معها التوحيد أو ينقص وهذا كثير في السنة الثابتة عنه ﷺ كقوله: **«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»** [(٣)] وتقدم. وقوله: **«إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله عز وجل»** [(٤)] ونحو ذلك، ونهى عن التمادح وشدد القول فيه، كقوله لمن مدح إنسانًا: **«ويلك قطعت عنق صاحبك...»** [(٥)] الحديث أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في كراهية التمادح، حديث (٤٨٠٦)، وهو صحيح، وانظر المشكاة (٤٩٠٠).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى (٦/ ٧٠)، حديث (١٠٠٧٧)، وأحمد في مسنده (٣/ ٢٤١)، حديث (١٣٥٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ١٣٣)، حديث (٦٢٤٠) وهو صحيح، وانظر الصحيحة (١٠٩٧)، المشكاة (٤٩٠٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ﴾ [مريم: ١٦] الآية، حديث (٣٤٤٥).

(٤) تقدم تخريجه تحت باب: من الشرك أن يستغاث بغير الله.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الأذان، باب: فضل من غدا إلى المسجد ومن راح، حديث (٢٦٦٢)، ومسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح، حديث (٣٠٠٠) عن عبد الرحمن بن أبي بكرة مرفوعًا.

أبي بكرة عن أبيه: أن رجلاً أثنى على رجل عند النبي ﷺ فقال له: «**قطعت عنق صاحبك ثلاثًا**» [١].

وقال: «**إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب**» [٢]. أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه عن المقداد بن الأسود.

وفي هذا الحديث: نهى عن أن يقولوا: أنت سيدنا وقال: «**السيد الله تبارك وتعالى**» ونهاهم أن يقولوا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً وقال: «**لا يستجرينكم الشيطان**» [٣].

وكذلك قوله في حديث أنس: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا... إلخ. كره ﷺ أن يواجهوه بالمدح فيفضي بهم إلى الغلو.

وأخبر ﷺ أن مواجهة المادح للممدوح بمدحه - ولو بما هو فيه - من عمل الشيطان لما تفضي محبة المدح إليه من تعاظم الممدوح في نفسه وذلك ينافي كمال التوحيد.

فإن العبادة لا تقوم إلا بقطب رحاها الذي لا تدور إلا عليه، وذلك غاية الذل في غاية المحبة، وكمال الذل يقتضي: الخضوع والخشية والاستكانة لله تعالى، وأن لا يرى نفسه إلا في مقام الذم لها والمعاتبة لها في حق ربه، **وكذلك الحب لا تحصل غايته إلا إذا كان** يحب ما يحبه الله، ويكره ما يكرهه الله من الأقوال والأعمال والإرادات.

ومحبة المدح من العبد لنفسه تخالف ما يحبه الله منه والمادح يغره من نفسه فيكون آثمًا، فمقام العبودية يقتضي كراهة المدح رأسًا، والنهي عنه صيانة لهذا المقام، فمتى أخلص العبد الذل لله والمحبة له خلصت أعماله وصحت **ومتى أدخل عليها ما يشوبها من** هذه الشوائب دخل على مقام العبودية بالنقص أو الفساد، وإذا أداه المدح إلى التعاظم في نفسه والإعجاب بها وقع في أمر عظيم ينافي العبودية الخاصة كما في الحديث: «**الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني شيئًا منهما عذبته**» [٤].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الأدب، باب: في كراهية التمادح، حديث (٤٨٠٥)، وهو صحيح، وانظر صحيح الجامع (٧١٤٠).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح، حديث (٣٠٠٢)، وأبو داود، حديث (٤٨٠٤)، والترمذي، حديث (٢٣٩٣)، وابن ماجه، حديث (٣٧٤٢).

(٣) تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الكبر، حديث (٢٦٢٠)، من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

وفي الحديث: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[(١)].

وهذه الآفة قد تكون محبة المدح سببًا لها وسلمًا إليها، والعُجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

وأما المادح فقد يفضي به المدح إلى أن ينزل الممدوح منزلة لا يستحقها، كما يوجد كثيرًا في أشعارهم من الغلو الذي نهى عنه الرسول ﷺ وحذر أمته أن يقع منهم، فقد وقع الكثير منه حتى صرحوا فيه بالشرك في الربوبية والإلهية والملك، كما تقدمت الإشارة إلى شيء من ذلك.

والنبي ﷺ لما أكمل الله له مقام العبودية صار يكره أن يمدح، صيانة لهذا المقام، وأرشد الأمة إلى ترك ذلك نصحًا لهم، وحماية لمقام التوحيد عن أن يدخله ما يفسده، أو يضعفه من الشرك ووسائله: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٥٩] ورأوا أن فعل ما نهاهم ﷺ عن فعله قربة من أفضل القربات، وحسنة من أعظم الحسنات.

وأما تسمية العبد بالسيد فاختلف العلماء في ذلك:

قال العلامة ابن القيم في بدائع الفوائد: اختلف الناس في جواز إطلاق السيد على البشر. فمنعه قوم، ونقل عن مالك، واحتجوا بقول النبي ﷺ لما قيل له: يا سيدنا قال: «**السيد الله**». وجوزه قوم، واحتجوا بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم**»[(٢)] وهذا أصح من الحديث الأول.

قال هؤلاء: السيد أحد ما يضاف إليه، فلا يقال للتميمي سيد كندة، ولا يقال: الملك سيد البشر. قال: وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم.

وفي هذا نظر، فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة المالك، والمولى والرب. لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق. انتهى.

قلت: فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ [الأنعام: ١٦٤] أي: إلهًا وسيدًا.

وقال في قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢] أنه السيد الذي كَمُلَ في جميع

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: تحريم الكبر..، حديث (٩١) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: إذا نزل العدو على حكم رجل، حديث (٣٠٤٣)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهلٍ للحكم، حديث (١٧٦٨).

أنواع السؤدد [١]. وقال أبو وائل [٢]: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

وأما استدلالهم بقول النبي ﷺ للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم**» فالظاهر أن النبي ﷺ لم يواجه سعدًا به، فيكون في هذا المقام تفصيل والله أعلم.

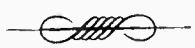

(١) السؤدد: العظمة والمجد والشرف.

(٢) هو: شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز. وله مائة سنة. انظر التقريب (ت٢٦٨).